الحساسون الثلاثة

«في مدينة «فريكشاجاتا» –إحدى مدن ولاية أنجاس – كان يعيش رجل برهمي على درجة كبيرة من الثراء.. وكان متديناً، لا يفوته فرض من فروض العبادة المنصوص عليها في الكتب. وقد تزوج بامرأة برهمية من عشيرته، أنجبت له ثلاثة أبناء، أتصفوا بالترفه وشدة الحساسية!

وذات يوم طلب منهم أبوهم أن يحضروا له سلحفاة، ليقدمها للآلهة كقربان وفاء لنذر قديم. وذهب الأخوة الثلاثة إلى شاطيء البحر، ولم يلبثوا أن عثروا على السلحفاة، لكن أحدًا منهم لم يقبل أن يحملها، فقد قال الأخ الأكبر: «ينبغي أن يحمل أحدكما السلحفاة إلى أبي، فإنني لا أستطيع أن ألمس هذه المخلوقة القذرة!»، فأجابه الآخران «ونحن مثلك لا نستطيع أن نلمسها!»، فقال الأخ الأكبر: «ولكن، لابد من أن تحملا السلحفاة إلى أبي، وإلا فسد قربانه وذهبتما بسبب ذلك إلى الجحيم!».

فضحك أخواه وقالا: «ها أنت تلقننا الواجب الذي علينا، ونسيت واجبك أنت. وهو في الحقيقة عين واجبنا!».

– لكنكما تعرفان جيداً الحساسية التي أعانيها بشأن الطعام. فأنا لا أستطيع أن أبتلع لقمة واحدة من طعام تشمئز منه نفسي!

– أما أنا فأعاني حساسية أشد منك، وإن كانت تلك الحساسية تتجه نحو النساء!

– إذن، فليحمل أصغرنا السلحفاة.

لكن هذا تجهم في غضب ثم قال: «يا لكما من غبيين!.. إن حساسيتي بشأن الفراش الذي أرقد عليه أشد من حساسيتكما معا!».

وسرعان ما دب بينهم الشجار، ولم يتمكنوا من الوصول إلى حل يرضيهم، فتركوا السلحفاة في مكانها، ويمموا شطر مدينة «فيتانكابورا» ليحتكموا إلى ملكها «براسيناجيت».. وقد رحب الملك بهم ترحيباً حاراً وأكرم وفادتهم. وبعد أن نالوا قسطاً من الراحة سردوا على الملك قصة الخلاف الذي دب بينهم. فقال الملك: «أمكثوا في قصري فترة من الزمن، ريثما أستطيع اختبار كل منكم على حدة!».

ولما جاء موعد العشاء، أجلس الملك البرهميين الثلاثة في مكان الشرف من المائدة، وأمر بأن يقدم لهم طبق ملكي فاخر يتكون من الأرز وقد أضيفت إليه الروائح الست الشهية المعروفة، فهجم الجميع على الأرز يأكلونه بشهية عارمة، ما عدا البرهمي الذي كانت لديه حساسية نحو الطعام، فقد عاقت نفسه الطبق الشهي، وأمسك أنفه بأصابعه، وقد

بدا على وجهه الاشمئزاز بأجلى معانيه!.. فسأله الملك بلطف ورقة: «لماذا لا تأكل أيها البرهمي؟ ألا يروقك الطعام؟ لقد أمرت خدمي بتقديم أجود صنف منه، كما أنه يعبق برائحة ذكية!». فأجابه الأخير هامساً بصوت مبحوح: «يا صاحب الجلالة، مهما كانت درجة جودة الأرز، ومهما أضيف إليه من روائح شذية، فإنني أشتم خلاله رائحة جثة محترقة، ومن ثم لا أستطيع أن أبتلع حبة منه! ».

فدهش الملك لقول الشاب دهشة بالغة، وأمر بأن يشم جميع الحاضرين الأرز، ففعلوا وأجابوا جميعًا بأنه من صنف ممتاز، وأنه لذيذ المذاق، عذب الرائحة، وليست به أية رائحة كريهة. بيد أن الشاب ظل مع ذلك مصراً على زعمه، ممسكاً بأنفه، رافضاً أن يمس الطعام. ومن ثم لم يجد الملك بداً من إجراء تحقيق في الأمر، وإذا أحد الطهاة يقول إن ذلك الأرز إنما هو من محصول حقل يقع على مقربة من أرض المحرقات، حيث كان القرويون يحرقون جثث موتاهم.

وإذ ذاك سر الملك من الشاب وقال له: «لقد أقمت الدليل على أن حساسيتك بشأن الطعام حقيقية، لا زيف فيها ولا ادعاء. ومن ثم أمرت بأن يقدم إليك صنف آخر!». وما أن فرغ البرهميون الثلاثة من تناول العشاء حتى اتجه كل منهم إلى غرفة نومه.

***

وكان لذلك الملك محظية على درجة كبيرة من الجمال والفتنة، فأمر الملك بتزيينها أكمل زينة، وبتعطيرها بأفخر العطور وأغلاها ثمناً، حتى أصبحت مثالاً حياً لجمال الأنوثة الخلاب. وأرسلها الملك إلى مخدع البرهمي الثاني –الذي تتجه حساسيته نحو النساء –فدخلت مخدعه، يشع من وجهها ضوء كضوء القمر، وبدت كأنها تحمل في يدها مشعل إله الحب، فأضاءت الغرفة بسنائها وبهاء طلعتها .. فما لمحها الشاب عند باب الغرفة حتى أخذ يمني نفسه بليلة هانئة، لم يذق مثلها من قبل. بيد أنها ما اقتربت منه حتى قفز من مكانه –وكأن عقربًا قد لدغته –وهو يسد أنفه بيده، ويئن أنيناً فظيعاً، وقد كاد يغشى عليه. وصاح منادياً الخدم، وإذ أتوا مهرولين، قال لهم: «أبعدوا هذه المرأة عني !.. سأموت لا محالة إذا ظلت بجواري لحظة أخرى. أن رائحة جسدها تشبه رائحة المعيز!».

وذهب أفراد الحاشية بالمحظية البائسة إلى الملك، وأنهوا إليه ما حدث. فاستدعى الملك البرهمي وقال له: «إن هذه المحظية أجمل نساء حريمي وأقربهن إلى قلبي، وقد قبلت أن أتنازل عنها تكريمًا لك، وهي تسير وسط سحابة من أعذب العطور من المسك والكافور. ومع ذلك تزعم أن رائحة جسدها تشبه رائحة المعيز؟!».

ولكن منطق الملك عجز عن إقناع الشاب الذي ظل مصراً على رأيه، ممسكاً بأنفه. وإذ ذاك راودت الشكوك ذهن الملك فاختلى بالمحظية، وراح يتوسل إليها ويحاورها ويداورها كي تكشف له عن

الحقيقة. وأخيراً قالت له إنها عندما كانت طفلة فقدت أمها ولم يكن لديها مرضعة. وكادت تموت من الجوع لولا أن تقدمت إليها إحدى الجارات بلبن المعين فأطعتهما منه. وعندئذ بلفت الدهشة بالملك كل مبلغ، وإعترف بحساسية البرهمي!.

***

ثم أصدر الملك تعليماته لحاشيته بأن يزود البرهمي الثالث–الذي كان يدقق في اختيار فراشه–بسرير وثير نقطه سبع حشايا، كل منها فوق الأخرى .. لكن البرهمي الحساس لم يقف إلا ساعة وبعض ساعة ثم إستيقظ عند منتصف الليل–صارخاً من فرط الألم، وهو يمسك جنبيه بيديه. فلما نضا رجال الحاشية الثياب عنه، شاهدوا شريطاً أحمر اللون، متعرجاً، مطبوعاً بوضوح في لحمه، أشبه بقضيب من الصلب غائر في كتلة من الصلصال!..

فلما ذهبوا إلى الملك وأنهوا إليه الأمر، أصدر أمره بفحص الحشايا فحصا دقيقاً ليتأكدوا من أن شيئاً لم يترك–سهواً–بين ثناياها. فلما نفذوا أمره وجدوا مابين الحشية السفلى والسرير شعرة رأس، لايزيد طولها عن عشر سنتيمترات، فأحضروها للملك ما الذي ما أن رآها و قارن بينها وبين العلامة الفائرة التي وجدت بجسد البرهمي؛ حتى قال لنفسه: «أمن المعقول أن تنفذ شعرة مثل هذه خلال سبع حشايا ثم تطبع هذا الأثر على جسده؟ إنه الأمر محير حقاً!».

وفي الصباح جمع الملك البرهميين الثلاثة كى ينهي إليهم القرار الذي إتخذه في شأنهم: وهو أنهم جميعاً يتمتعون بحساسية لاسبيل إلى إنكارها، ثم أهدي كلامنهم مائة.

ألف قطعة من الذهب مكافأة له على صدقه وأمانته، ولم يلبثوا أن عادوا إلى وطنهم وقد نسوا تماماً موضوع السلحفاة. وبذلك إرتكبوا خطيئة لا تغتفر، إذ تسببوا في إفساد قربان أبيهم!».

وما أن فرغ الشيطان من سرد هذه القصة الرائعة حتى سال الملك قائلاً: والآن يا صاحب الجلالة ، تذكر اللعنة التي صبتها عليك–فهي لاتزال سارية المفعول–وأخبرني من من أولئك الشبان الثلاثة المرفهين الحساسين نحو الطعام والنساء والفراش هو: أشدهم حساسية؟.

فأجاب الملك الحكيم قائلاً: «إنني أعتقد أن البرهمي الأخير– الذي تتجه حساسيته نحو الفراش– هو أكثرهم رقة وحساسية!.. فهو الوحيد بينهم الذي لم يكن بوسعه أن يزيف الأمر أو يختلقه، إذ كانت العلامة الظاهرة على جسده أبلغ دليل على صدقه. أما الآخران فقد كان بوسعهما الحصول على معلوماتهم من و مصادر مختلفة!».

وعلى الفور إختفى الشيطان من فوق كتف الملك، فعاد الملك المثابر أدراجه، مطارداً أباه، ومرة أخرى أنزله عن شجرة «السيستو»، ولم يلبث الشيطان أن قال له: «سأحكي لك الآن–يا مولاي–قصة عجيبة أخرى. فانصت إليها: